15me Année No. 719

Lundi — 14 — 4 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ١٤ أبريل سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

مقاييس وأصـــول
فى النقد والشعر

للأستاذ عباس محمود العقاد

« كتب الأديب السورى العصرى الأستاذ خليل هنداوى مقالا فى مجلة الكتاب الفيحاء تناول فيه بالنقد مؤلف الأستاذ سيد قطب الحديث عن « كتب وشخصيات » ، واستطرد من نقده إلى الكلام على ما سماه المدرسة الشوقية والمدرسة العقادية فى الشعر، ثم انتهى من كلامه قائلا : ومثل شوقى لن تظهر قيمته مدرسة عقادية لأنها أظهرت فيه تحيزها يوم كانت تريد أن تجعل من المازنى الشاعر الأكبر ، ومن شكرى الشاعر المصور . وها قد طلق المازنى الشعر لأنه لم ير نفسه أهلا له ، وها شعر شكرى لا يردده أحد ، ولم يبق من تلك الفئة إلا العقاد . والعقاد رجل ذهنية جبارة وعقل خصيب عجيب ، لا يسمح له أن يطير إلا بقدر ...

« وكان من الحق أن أرجع إلى صاحب المدرسة فى هذا السؤال الذى أردت له جواباً شافياً من هاتين المدرستين ... فما قول الأستاذ فيما كتبه الهنداوى وما زعمه من التحيز وما حكم به بين المدرستين ... الخ .

على نافع

ونحن نوجز غاية الإيجاز فى الجواب المفيد على هذا السؤال ، فنقول إن التحيز فى أحكام الأدب — وفى جميع الأحكام — أخلق أن ينسب إلى الذين يستحسنون أو يستهجنون لغير سبب يعلمونه إلا أنهم قد استحسنوا وأنهم قد استهجنوا ولا مزيد .

أما أن تبنى حكمك على أصول ومقاييس تعم الآداب كلها ولا تخص أحداً من الشعراء أو الكتاب فليس ذلك من التحيز فى شىء كائناً ما كان الرأى الذى ترتئيه . وليس المتحيز إلا الذى يستمع إلى تلك الأصول والمقاييس فلا ينقدها ولا يبطلها ولا يفهمها على الوجه الصحيح .

ونحن لا يعنينا شاعر من الشعراء بعينه إذا فهمنا الشعر على حقيقته وطلبناه من معدنه . أما إذا كنا نجهل تلك الحقيقة ولا نعرف المحك الصادق لذلك المعدن فالمصيبة أعم من محاباة شاعر أو الإجحاف به والتحامل عليه لأنها مصيبة الميزان نفسه لا مصيبة الشىء الموزون فى إحدى كفتيه ، أو فى كلتا كفتيه .

ونحن لم نقل إن المدرسة الشوقية خلو من محاسنها ومزاياها ، ولا قلنا إنها لم تشتمل على شىء غير النقائص والعيوب .

ولكننا قلنا إنها لم تحقق للشعر أشرف مقاصده وأرفع مزاياه ، وعرضناها على المقاييس الخالدة التى لا سبيل إلى التشكيك فيها بحال من الأحوال ، فلم يصدق عليها مقياس منها ولا حاول أحد أن يصحح لنا ما قسناه مخالفاً فيه مذهبنا فى « التطبيق » .

وهذه خلاصة تلك المقاييس التى ندع إنكارها لمن يستطيع إنكارها ، أو ندع تطبيقها على خلاف رأينا لمن يشاء كما يشاء .

فالمقياس الأول أن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية .

فما من أمة على وجه الأرض إلا وهى تنظم الشعر على اختلاف اللغات والأوزان .

وهى لا تنظم الشعر لأنها تتكلم بهذه اللغة أو تلك ، وتعرف هـذا الضرب من العروض أو ذاك . ولـكنها تنظمه لأنها كائنات إنسانية حية تجمعها كلها سليقة الإنسان ونوازع الحياة .

فأول مقياس للشعر الصـادق الرفيع أنه يحتفظ بقيمته الـكبرى إذا ترجم إلى جميع اللغات ، لأنه يرجع إلى الطبيعة ولا يجعـل مرجعه كله إلى أعاريض الأوزان أو موقع الألفاظ فى الآذان .

نعم إن الموسيقية اللفظية مزية من مزايا الشعر فى كل لغة من اللغات .

ولـكنها إذا كانت هى مزيته الوحيدة ؛ أو مزيته الـكبرى التى لا يتمض بغيرها ، فأول ما يفهم من ذلك أنه كلام منفصل من الطبيعة الإنسانية ، وأنه صناعة محض وتلفيق من الألفاظ والأوزان ، وليس من الشعر الإنسانى الخالد فى طراز رفيع .

والمقياس الثانى أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه وإن كان وصفاً لغيره .

فإذا قرأت ديواناً كاملا من الشعر وجب أن تعرف صاحبه وتتمثله فى دخائل طبعه ونوازع سريرته وأطوار حياته .

وإذا تتبعت غزله — مثلا — فى أطوار تلك الحياة وجب أن تتمثل لك سمات حبه وسمات محبوبه فى كل طور من تلك الأطوار .

فلا يكون الشعر تعبيراً عن نفس حية إذا كنت تجهل تلك النفس حين تقرأ ديوان صاحبها ، ولا تستخرج لها من ديوانه ترجمة حياة داخلية لا يموزها شىء غير الأرقام والأعلام .

ولا يكون الشعر تعبيراً إذا كنت تقرأ غزل الشاعر كله من صباه إلى شيخوخته فلا ترى فيه فارقاً بين محبوب ومحبوب ، ولا بين عاطفة وعاطفة ، ولا بين شباب ومشيب .

ولا يكون الشعر تعبيراً إذا كان صاحبه يزعم لك أنه معطيك صورة من الأحياء والجمادات وهو لا يعطيك صورة من نفسه .

وإنما هذا صناعة وفقر فى نوازع الحياة ؛ لا يبلغ بقائله من القوة أن يعزه «شخصاً كاملا» بين غيره من شخوص الأحياء .

والمقياس الثالث للشعر الصادق أن القصيدة بنية حية أو «بنية عضوية» يقع كل جزء منها فى موقعه الذى لا يغنى فيه غيره ، كما تتألف الأجسام من الجوارح والأعضاء .

فإذا عالجتها بالتقديم والتأخير ماتت كما يموت الجسم الحى الذى تضع قدميه فى موضع رأسه أو رأسه فى موضع قدميه .

أما إذا جاز لك أن تبعثرها شذر مذر ثم تعيدها فى كل مرة على وضع جديد فهى إذن من عالم الجماد لا من عالم الأحياء . بل هى من عالم الجماد الذى لا فن فيه ولا تنسيق له ولا معنى لتركيبه . لأنك لا تستطيع أن تصنع هذا الصنيع بجماد كالتمثال أو جماد كالدولاب أو القدح المنقوش .

***

هذه أمثلة من المقاييس التى ندين بها فى نقد الشعر وتقدير الشعراء ...

فعلى أى وجه تجوز المخالفة فيها ؟

لا تجوز المخالفة فيها إلا على وجه من وجهين :

فإما أن يقول القائل إن هذه المقاييس باطلة فى جملتها وتفصيلها ، وإن الشعر قد يكون من طراز الشعر الرفيع وهو لا يعطينا مزية إنسانية بمعزل عن رنين الأوزان وطلاوة الألفاظ ، ولا يعبر لنا عن نفس صاحبه ودخيلة حياته ، ولا تماسك قصائده تماسك البنية الحية التى تستعصى على التقديم والتأخير .

فإن قال القائل هذا فهو رشأنه فيما يراه ، والناس وشأنهم فى الأخذ بما رآه .

أما إذا قبل تلك المقاييس وارتضاها فليس له غير وجه واحد المخالفة فيما قدمناه ، وذاك أن يقول إن المقاييس صحيحة ولـكنها تنطبق على شعر المدرسة الشوقية وما جرى مجراها .

ومعنى ذلك أنه يستطيع أن يستخلص من دواوين شوقى صورة صادقة له كالصورة التى نستخلصها من الدواوين لأمثال المتنبى والمعرى وابن الرومى وأبى نواس وأن يعرف من غزله أطواراً لحبه فى الشباب والمشيب ، وأوصافاً لمن أحبهم ونظم الغزل فيهم على اختلاف المحاسن والسجايا وألوان الغرام .